المصطلح القرآني
وعلاقته بعلم النفس

إعداد

د. عبد الله الطارقي

مدير الأبحاث والدراسات بمركز قراءات لبحوث ودراسات الشباب – جدة السعودية

المؤتمر العالمي الرابع للباحثين في القرآن الكريم وعلومه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وتمهيد:

القرآن الكريم كلام الله تعالى؛ المنهج الأكمل، المنزل على خير نبي مرسل، عليه وعلى آله الصلاة والسلام، أودع الله تعالى فيه مصالح الثقلين، لذا حثنا على أن نكون له من التالين، وامتدح من كان به من العاملين.

وإن من تلك المصالح؛ شأن النفس وتزكيتها وتعبيدها لرب العالمين، ولذا تبحث هذه الورقة في ألفاظ القرآن الكريم ومصطلحاته وعلاقتها **بعلم النّفس**، لما تحمله تلك المصطلحات من فرصٍ ثرة ونادرة في تحقيق كافة مصالح الإنسان في النفس والعقل والتفكير والسلوك.

وتظهر **العلاقة المباشرة** بين المصطلح القرآني وعلم النفس في أن كافة ألفاظ لقبه العلمي "**علم، النفس**" ألفاظ ومصطلحات قرآنية وهو أمر يحتم وجود تلك العلاقة في البنية المنهجية، والمفاهيم الأولية.

وتزيد العلاقة المباشرة وضوحًا حين نأخذ بالاعتبار أنّ حجم ورود لفظ النّفس في القرآن الكريم؛ هو: 298 موضعًا، وهو حجم ورود يوحي بالمركزية والأهمية التي يحتلها هذا العلم في النسق المفهومي لألفاظ القرآن الكريم.

ثم إنّ إصلاح النّفس وتهذيب أخلاقها وأعمالها هو موضوع الوحي أصلاً، ومهمة النبي الخاتم حقًا؛ لذا كان لفظ "**النّفس**" من أوائل ما نزل، على هيئة خاصة؛ إذ لم يقسم الله تعالى في القرآن الكريم أحد عشر قسمًا إلا على النّفس قال تعالى: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)} [الشمس: 1 - 10].

وهو أمر يلح على ضرورة إطلاق مشروع علمي موسوعي في تحرير مفاهيم الألفاظ القرآنية التي تناولت النفس منذ النشأة حتى المعاد والحساب مرورًا بالمعاش والتكليف، ودراسة نسقها الكلي الناظم.

وهذا أمر يقودنا للبحث في عناية العلماء في تاريخنا الإسلامي بقضايا النفس وتزكيتها وإحسان إرشادها نحو الكمالات، إذ هو مما امتلأت به كتب الآداب والسلوك؛ بل أفرد له العلماء مصنفات خاصة، فلا يكاد يخلوا قرن من قرون الأمة من وجود مصنفات خاصة بالنفس وقضاياها باسمها الصريح "**نفس**".

أما مؤلفاتهم ومصنفاتهم التي تعنى بمفاهيم التزكية والتربية وإصلاح الإنسان فذاك يجل عن الحصر خصوصا إذا تخيلنا حجم تلك المؤلفات بين مطبوعها ومخطوطها! وسنأتي هنا على بيان ما وقف عليه الباحث من ذلك عرضًا تاريخيا مقربا لهذا المضمون.

أما واقع العلاقة اليوم بين المصطلح القرآني وعلم النفس، فيمكننا تلمسه من خلال الميدان العلمي؛ إذ نجده يزخر بمحاولات متعددة ومشاريع متنوعة عملت على إحضار المصطلح القرآني في جهدها "لإسلامية/أسلمة/تأصيل علم النفس" وهي جهود منها الفردي والمؤسسي؛ ومن أمثلتها المؤسسية؛ جهود المعهد العالمي للفكر الإسلامي، تلك الصرخة التي أطلقها الدكتور إسماعيل الفاروقي رحمه الله تعالى، وكذلك حين اهتمت مدرسة مالك بدري وطلابه بمفاهيم الوحي في العلاج النفسي حققوا نجاحات مشهودا لها في العلاج النفسي، عبر الرابطة العالمية لعلماء النفس المسلمين.

أما الجهود الفردية فمتعددة جدًا، ومن أمثلتها جهد الدكتور محمد رشاد خليل في كتابه الأصيل "علم النفس الإسلامي العام والتربوي"، وجهود الدكتور عثمان نجاتي في مشروعيه "علم النفس في القرآن الكريم" و"علم النفس في الحديث الشريف".

ومن أمثلته الفردية كذلك جهد الدكتور علي الفلواتي في معجمه النفسي والاجتماعي الذي سمّاه "معجم الألفاظ النفسية والاجتماعية في القرآن الكريم"، حيث احتوى على ألفاظ القرآن الكريم التي تناولت المتغيرات النفسية والاجتماعية، وسمات الشخصية، والارتقاء، والجسم البشري، والجماعات والمجتمعات البشرية"

ويمكننا التمثيل للرسائل العلمية برسالة حملت عنوان:" ألفاظ أحوال النفس وصفاتها في القرآن الكريم" للأستاذ زين ياسين، ومن أمثلة الكتب المنشورة؛ كتاب تصنيف المراحل العمرية في ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف لراقمه.

هذا إلى جانب جهود فردية هنا وهناك -كثيرة ولله الحمد- من خلال الرسائل العلمية والأبحاث والاجتهادات المختلفة لعدد من الباحثين في أقسام علم النفس في: مصر، والسعودية، والسودان، والجزائر، وماليزيا، وفلسطين.

فالمصطلح القرآني إذًا؛ له حضور في عدد من مشاريع العلوم النفسية اليوم!

غير أنها -وللأسف- لم تلتئم حتى اللحظة لتبلور رؤية ومنهاجًا يمثل النظرية الإسلامية في العلم بالنفس الإنسانية حتى تمنحنا الاستقلال الذي يجعلنا نؤسس لقضايانا النفسية والتربوية، وتمكننا من أن نتثاقف مع الآخر بغير ضعف، فلا نقترض منه ما نملك!

وبناء رؤيتنا الخاصة خطوة تمكننا من امتلاك "**علم نفس**" مسلم النشأة محكم الصلة بكينونة الأمة (القرآن الكريم).. بل ونتأكد -حينها- من تأسيس علم بالنفس يحقق مصلحة البشرية لأنه سيكون علمًا تم متحه من ألفاظ النص الخاتم للرسالات {هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى} [البقرة: 185].

ناهيك عن النقلة المنهجية والمنهاجية التي تحققها متانة الصلة والمنزع بين العلم بالنفس وألفاظ القرآن الكريم ومصطلحاته.

أهداف الورقة

ومن هنا تحاول الورقة تحقيق الأهداف التالية:

1. المصطلح القرآني المتعلق بعلم النفس في التراث الإسلامي.
2. المصطلح القرآني المتعلق بعلم النفس في جهود المعاصرين.
3. الاضطراب المنهجي في تنزيل مفاهيم ومصطلحات علم النفس على المفاهيم والمصطلحات القرآنية.
4. جوهر الإشكال المصطلحي في علم النفس.
5. أنموذج تطبيقي من التحيز بالمصطلح النفسي.

6. آفاق مقترحة في تمتين الصلة بين المصطلح القرآني وعلم النفس.
7. أمثلة لثراء المصطلح القرآني بالألفاظ والمصطلحات النفسية.

نحاول تحقيق تلك الأهداف من خلال الآتي:

المحور الأول: المصطلح القرآني المتعلق بعلم النفس في التراث الإسلامي.

لقد عني العلماء المسلمون بالمصطلح القرآني المتعلق بالنفس مبكرًا، إذ هو من جملة عنايتهم بالقرآن الكريم وعلومه؛ ولهذا فإننا حين نروم التأريخ لقضية علم النفس في المصطلح القرآني فسيكون البدء في ذلك منذ بدأت العناية بالقرآن الكريم في الصدر الأول، ثم إن عصر بدء التدوين لكتب التفسير وشروح الحديث وسائر علوم القرآن الكريم وعلوم الحديث الشريف هو مرحلة بدء تحرير تلك المفاهيم في مصنفات العلماء.

بل إن تلك المصادر وهي تتناول ألفاظ القرآن الكريم ومصطلحاته نجدها زاخرة بمباحث ونصوص عن النفس من الأهمية والخطورة بمكان!

ويلاحظ مع ذلك أن علماءنا مع أنهم أفردوا للنفس مؤلفات خاصة ضمن كتب السلوك والأدب؛ إلا أنهم لم يخلعوا على هذا المهيع من العلم اسم **"علم النفس"** فبقيت مباحث هذا العلم مبثوثة في تلك المؤلفات وكتب التفسير وشروح الحديث.

وهذه قضية تحملنا على لزوم استنطاق كتب التراث الإسلامي التي تتناول النفس من خلال ألفاظ ومصطلحات القرآن الكريم المتعلقة بالنفس؛ ولهذا عمد الباحث إلى جرد مشروع المعهد العالمي للفكر الإسلامي الموسوم بـ**"علم النفس في التراث الإسلامي"** وهو عمل يقع في ثلاثة أجزاء ضمت عرضًا لعدد 101 من أعلام التراث الإسلامي، من مختلف مجالات المعارف والعلوم شملت عدد 210 كتابًا ويمكن للباحث تسجيل ملحوظات مهمة في ذلك وهي:

أولا: لم يخل قرن من قرون الأمة -تقريبًا- من مصنف خاص حول **النفس** يتناولها من خلال ألفاظ ومصطلحات القرآن الكريم ومثال ذلك ما يلي:

القرن	الكتاب	المؤلف
الثالث	كتاب آداب النفوس	للحارث المحاسبي ت/243هـ
	كتاب محاسبة النفس	ابن أبي الدنيا ت/281هـ

القرن	الكتاب	المؤلف
الرابع	كتاب النفس والروح	الإمام زكريا الرازي ت/313هـ
	كتاب مكر النفس كتاب الرياضة وأدب النفس	الحكيم الترمذي ت/320هـ
	كتاب مصالح الأبدان والأنفس	أبو زيد البلخي ت/322هـ
الخامس	كتاب الأخلاق والسير في مداواة النفوس	أبو محمد بن حزم ت/456هـ
السادس	كتاب معارج القدس في مدارج معرفة النفس	أبو حامد الغزالي ت/505هـ
الثامن	تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس	ابن عطاء الله السكندري ت/709هـ
التاسع	الذخائر والأعلاق في آداب النفوس والأخلاق	سلاّم بن عبد الله الباهلي ت/839هـ

ثانيًا: يلاحظ كذلك أن المصطلح القرآني المتعلق بالنفس كثير التناول كمفاهيم في كتب الزهد والأخلاق والتزكية بالجملة ونورد هنا أمثلة من ذلك وفق ما يلي:

القرن	الكتاب ومؤلفه	نموذج من المصطلح القرآني في الكتاب
الثاني	كتاب الزهد لوكيع بن الجراح ت/198هـ	النفس، الزهد، التواضع، الأمل، الإيمان، الصبر....
الثالث	كتاب الورع لأحمد بن حنبل ت/241هـ	الكبر، الشهوات، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، النفس...
	كتاب مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ت/281هـ	النفس، خلق، الصدق، الأمانة....
الرابع	الفرق بين الصدر والقلب	القلب، الصدر، اللب، الفؤاد.....

القرن	الكتاب ومؤلفه	نموذج من المصطلح القرآني في الكتاب
	والفؤاد واللب للحكيم الترمذي ت/320هـ	
	كتاب مكارم الأخلاق لأبي بكر الخرائطي ت/327هـ	النفس، الكرم، الأمانة، الإيمان.
الخامس	كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ت/400هـ	النفس، العقل، السكينة، الروح،
	كتاب منازل السائرين لإسماعيل الهروي ت/481هـ	النفس، العفة، الإنابة، المحاسبة، الاعتصام....
السادس	كتاب تفصيل النشأتين للراغب الأصفهاني ت/502هـ	النفس، الإنسان، السعادة، العبادة، الإصلاح....
	كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ت/505هـ	النفس، العبادات، الهلاك، النجاة، العلم، القلب، الشهوة....
	كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي ت/597هـ	النفس، الشهوة، الدنيا، المعصية، الهوى، العقل، النجاة، الهلاك....
السابع	كتاب الطب الروحاني للفخر الرازي ت/606هـ	النفس، الروح، العقل، الجسد، العمه....
الثامن	كتاب التحفة العراقية لابن تيمية ت/728هـ	القلوب، النفوس، أمراض القلب، أعمال القلوب، الخوف.....
	كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم ت/751	النفس، العقل، الدنيا، الإنسان، حسرة، إرادة

القرن	الكتاب ومؤلفه	نموذج من المصطلح القرآني في الكتاب
التاسع	كتاب الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلي ت/832	الروح، القلب، العقل، العلم...
العاشر	كتاب الأرج في الفرج لجلال الدين السيوطي ت/911هـ	النفس، الفرج، الصبر، الدعاء...
الثالث عشر	كتاب مدارج السلوك إلى مالك الملوك لأبي بكر البناني ت/1248هـ	النفس، عبادة الله، السعادة، ذكر الله تعالى، ولي الله تعالى...

وما تلك إلا نماذج وإلا فإن ما جمعه المعهد في سفره ذي الأجزاء الثلاثة كثير وإنما أردت لفت النظر إلى حجم معالجة العلماء في التاريخ الإسلامي لمسائل النفس من خلال المصطلح القرآني الذي يتناوله بالبيان والدرس.

ثالثًا: غلبت على كثير من تلك المؤلفات صبغتان الأولى هي التصوف والثانية هي الفلسفة، الأمر الذي جعل الجهد الخالص في خدمة المصطلح القرآني باستقلال أقل من ذينك الصنفين والله أعلم.

وهو أمر يفتح باب الاجتهاد ويدعو الباحثين في العلوم النفسية والدراسات المصطلحية لبذل مزيد جهد في العناية بالمصطلح القرآني المتصل بالنفس. ليخرجوا ما يسهم في بناء علم نفس قرآني بامتياز من خلال دراسة ألفاظه ومصطلحاته القرآنية باستقلال.

المحور الثاني: المصطلح القرآني المتعلق بعلم النفس في جهود المعاصرين.

أولاً: الغراب الذي أيقظنا[1].

ولد علم النفس المعاصر في أحضان أسرة أوروبية وأمريكية وهي أسرة وقّعت مع النهضة **"وثيقة الطلاق البائن"** بين العلم والكنيسة وحينها سهل على هذا الوليد -علم النفس- أن يدرس الإنسان على أنّه آلة أو حيوان لا غير، ففي الوقت الذي درسه داروين باعتباره حيوانا في الظاهر،

[1] – حسب تعبير الأستاذ محمد بريش وفقه الله.

أكمل فرويد المسيرة فأثبت الحيوانية لعالمه الداخلي أيضا وأثبت كل ذلك واطسون فليس هناك علم نفس إنساني وعلم نفس حيواني بل هو حيواني فحسب.

كان ذلك التعاطي عبر المدارس النفسية الغربية في علم النفس بمثابة الغراب الذي أيقظنا.. حتى عمد علماؤنا للرد على فرويد كما صنع الأستاذ محمد قطب في أول كتاب له تبعه مالك بدري وهو ينهى الباحثين النفسانيين المسلمين من الولوج إلى جحر الضب في رسالة له تحمل نفس الاسم "علماء النفس المسلمون في جحر الضب!"، وتبعتهم الصرخة التي أعلنها الأستاذ إسماعيل الفاروقي المتمثلة في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ثم تتابعت الجهود..

ثانيًا: صرخة الشهيد وجهود المعهد العالمي

ليس من قبيل إفشاء السر أن نقول إن الدكتور إسماعيل الفاروقي رحمه الله من أبرز من رفع عقيرته في أذن الباحثين المسلمين للعمل على "صياغة العلوم الاجتماعية والإنسانية -بما فيها علم النفس- صياغة إسلامية" تلك الدعوة التي تحولت بجهود الرجال الصادقين معه إلى مؤسسة هي المعهد العالمي للفكر الإسلامي في 1981م وكان هدف المعهد المعلن هو : تجنيد جمهور العلماء والمثقفين المسلمين لإعادة صياغة الفكر الإسلامي المعاصر ومناهجه في مجال العلوم والدراسات الإنسانية والاجتماعية.

ونورد هنا نماذج لإسهامات المعهد من خلال مطبوعاته ومؤتمراته وهي أبحاث معاصرة تعتمد كثيرًا على ألفاظ القرآن الكريم ومصطلحاته ومن تلك الدراسات:

تاريخ النشر	الدراسة	المصطلحات القرآنية في الدراسة
1413هـ-1993م	الآفاق التي يفتحها القرآن الكريم للبحث النفسي لتوفيق محمد عز الدين	النفس، الجسد، الروح، الخير، الشر، الإنسان، الطين، التزكية، السنن
	المفاهيم النفسية الأساسية في القرآن الكريم وخطورة الإصلاح للدكتور حسن الشرقاوي	الفطرة، كظم الغيظ، الرؤيا، الاستقامة، الهدى، العبودية لله تعالى، التفكر، التسخير، البصيرة

تاريخ النشر	الدراسة	المصطلحات القرآنية في الدراسة
1411هـ - 1990م	مراحل النمو الإنساني ومطالبها لشادية أحمد التل	الطفولة، البلوغ، الشباب، التكليف، الكهولة، الشيخوخة
1413هـ-1993م	أبو حامد الغزالي وإسهاماته النفسية لفايز الحاج	القلب، النفس، الطفل، الفطرة،
1413هـ-1993م	الآراء النفسية عند الماوردي لمحمد الطيب	دين متبع، أمن، نفس
1998م	الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي لنزار العاني	الفطرة، الأطوار، السواء، النفس، تربية، الإرادة...
1412هـ	علم النفس الحديث من منظور إسلامي لمالك بدري	النفس، الروح، الفطرة، الإيمان
1432هـ	نظرية الأهلية بين علم النفس والفقه الإسلامي لهدى هلال	النفس، العقل، الطفولة، البلوغ، الشيخوخة، العجوز...

وغيرها كثير جدًا مما نشره المعهد العالمي للفكر الإسلامي عبر جهده الطويل ومؤتمراته ومراكزه المتنوعة في واشنطن، ولأردن والمغرب، ومصر.

ولعلي أضرب أمثلة أخرى لدراسات من خارج نطاق المعهد وهي كثيرة -أيضًا- لأن اهتمام أقسام علم النفس في الجامعات في العالم الإسلامي في كل من مصر والسعودية والسودان والأردن وفلسطين والجزائر وماليزيا تجاوزت المئات من المؤلفات حسب ما وقف عليه الباحث ونضرب أمثلة فقط من خلال الآتي:

تاريخ النشر	الدراسة	المصطلحات القرآنية في الدراسة
بدون	علم النفس الإسلامي العام والتربوي لمحمد رشاد خليل	النفس، الروح، القلب، العقل، القدر، الإنسان، الدين، الفؤاد
1407هـ	من علم النفس القرآني لعدنان	الإيمان، الفطرة، البرهان، الجسد،

تاريخ النشر	الدراسة	المصطلحات القرآنية في الدراسة
1987م	الشريف	العقل، الروح، المستقر، المستودع، المصيبة، البلاء، النعاس، الموت،
1423هـ	دراسات في علم النفس من منظور إسلامي لصالح الصنيع	النفس، الأخلاق، الدين،
1423هـ	التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية لمحمد عز الدين توفيق	النفس، التفكر، التزكية، سنن، أنفس، الناس، القلوب.
1420هـ	تمهيد في التأصيل رؤية في التأصيل الإسلامي لعلم النفس لعبد الله الصبيح	العبودية، الإيمان، الوحي، الكون، النفس، الإنسان، التقوى
1997	القرآن الكريم وعلم النفس لمحمد عثمان نجاتي	النفس، الحب، الغضب، الحزن، الندم، الحسرة، العلم
2016	معجم الألفاظ النفسية والاجتماعية في القرآن الكريم لعلي الفلواتي	إنسان، بغي، تاب، جميل، حسن، خبث، رحمة، زنا، سرف....
2008	تزكية النفس لأنس كرزون	النفس، التزكية، السكينة، الوسوسة، خداع، الشهوة...
2012	تزكية النفس في الإسلام وفي الفلسفات الأخرى لعلي أبو حميدي	النفس، التزكية، أخلاق، الذكر، الأخوة.....

والدراسات في هذا الاتجاه كثيرة جدا ولله الحمد. بقي أن أورد للقارئ الكريم أمثلة أخرى في هذا النوع؛ لدراسات اهتمت بالمصطلح الرئيس لعلم النفس ساعية إلى تحرير مصطلحه من خلال ألفاظ القرآن الكريم وإليك تلك الأمثلة:

1. النفس الإنسانية في القرآن الكريم، إبراهيم محمد سرسيق، ط1، مكتبة تهامة، جدة، 1401هـ، 1981م
2. النفس في القرآن الكريم، أحمد عمر هاشم، دار أطلس-القاهرة مصر2004
3. النفس في القرآن الكريم: رؤية منهجية، عبد الوهاب داود الحزامي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007م
4. منهج القرآن الكريم في تربية النفس، عزة أحمد عبد الرحمن، جامعة الأزهر، دكتوراه، 1996
5. النفس الإنسانية في القرآن الكريم، سانوسيابن الحج روحالي، جامعة صدام، ماجستير، 1989
6. النفس الإنسانية في القرآن الكريم، محمد يوسف محمد سليمان، إشراف: إبراهيم عبد الحميد زيد الكيلاني، الجامعة الأردنية، ماجستير، 1997م
7. النفس الإنسانية في الكتاب والسنة: دراسة تحليلية، زكي مصطفى محمد البشايرة، إشراف: الطاهر أحمد عبد القادر، جامعة أم درمان الإسلامية، ماجستير، 2000م
8. علم النفس من القرآن، حسين العوضي، إشراف: أحمد السيد علي الكومي، جامعة الأزهر، دكتوراه، 1981م
9. علم النفس في القرآن الكريم، سعد رياض، دار حنين جدة 2004م
10. النفس وحقيقتها في القرآن الكريم، رانيا محمد عزيز نظمي، كلية الآداب جامعة الإسكندرية – فرع دمنهور

وأخيرًا فإن هذه التطوافة العجلى توقفنا على جهود المعاصرين التي بدأت مع نداءات إسماعيل الفاروقي ومحمد قطب ومالك بدري ثم حمي الجهد وتتابع في مؤلفات ودراسات علمية.

ولكن يمكن للباحث أن يلاحظ على كل ذلك أمورًا نأتي عليها في المحور التالي

المحور الثالث: الاضطراب المنهجي في تنزيل مفاهيم ومصطلحات علم النفس على المفاهيم والمصطلحات القرآنية.

كثير من المشتغلين بالعلوم النفسية ليسوا ذوي صلة قوية بعلوم القرآن وعلوم الحديث ومنهجية الاستدلال فيهما لذا لوحظ في كثير من المشاريع والدراسات درجة من الخلط في تنزيل المفاهيم والمصطلحات النفسية على المفاهيم والمصطلحات القرآنية. وقد لاحظ ذلك غير واحد منهم: مالك بدري في دراسته الشهيرة علم النفس الحديث من منظور إسلامي، والدكتور آزاد علي إسماعيل في كتابه الدين والصحة النفسية، ولعلنا نتابع شيئا من تلك الملحوظات من خلال الآتي:

– جاء في كتاب "تهذيب الأخلاق"[1] الصادر 1913 أن ينزل تقسيم أفلاطون للنفس (نفس عاقلة، وغضبية، وشهوانية) على اعتبار المقابل لها في القرآن الكريم هو (نفس مطمئنة، ولوامة، وأمارة بالسوء).

– وقريبا منه اتجاه وليد عبد الله زريق في كتابه خواطر الإنسان بمنظاري علم النفس والقرآن، دمشق، الداوودي 1996 حيث يرى أن النفس في القرآن واحدة ولها عدة قوى ثم يقسم النفس إلى عاقلة ناطقة، غضبية، وشهوانية.

– ووقع في هذا الشَّرَك كثيرون منهم: عزت عبد العظيم الطويل في كتابه النفس والقرآن الكريم، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث 2005، حيث يقول: إن المقصود "باللاشعور" عند فرويد هو النفس الأمارة بالسوء، والمقصود "بمنطقة الشعور" هو النفس المطمئنة، "والأنا العليا" هي النفس اللوامة.

ولهذا كان من النقد الذي وجهه مالك بدري: بأن ما ذهب إليه عزت الطويل مع بعده علميا يلزم منه أن جميع البشر لديهم أنفسً مطمئنة!

[1] – اختلف كثيرًا في نسبة الكتاب إلى مؤلف بعينه مع تعدد طبعات الكتاب، وقد ناقش نسبته الدكتور محمد عابد الجابري، انظر: http://www.aljabriabed.net

كما أشار مالك بدري إلى خطأ الكاتب الشهير عباس محمود العقاد أيضا في كتابه الإنسان في القرآن الكريم ودعواه بعدم التعارض بين القرآن والتحليل النفسي.

على أن مالك بدري حفظه الله يشير إلى منهجية علمية في التعامل مع مثل هذه الأخطاء بأن ننظر إليها أنها جهد مشكور باعتبارها محاولة بحثية وإن أخطأت[1].

وفي شرك دعوى التطابق بين مفاهيم منتزعة من القرآن الكريم ومصطلحات التحليل النفسي وقع أيضا كل من:

عبد الرؤوف عبد الغفور في كتابه، علم النفس الإسلامي، بيروت لبنان1987م، وكذلك الدكتور نبيه عبد الرحمن عثمان في كتابه الإنسان: الروح والعقل والنفس من منشورات سلسلة دعوة الحق1987

وكذلك الدكتور محروس سيد مرسي في كتابه التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية 1988م.

المحور الرابع: جوهر الإشكال المصطلحي في علم النفس.

العودة بعلم النفس إلى المصطلح القرآني، كما كان أول مرة، هو إعادة للعلم إلى أصله لأنه إعادة للنفس إلى خالقها الذي أوجدها أول مرة لتفهم في ضوء ألفاظه ومصطلحات وحيه.

فكيف إذا انضاف لمسوغات تلك العودة أن علم النفس الذي بين أيدي الباحثين اليوم لا يزال يعاني إشكالات مصطلحية متعددة، وأول تلك الإشكالات في لقب العلم نفسه الذي هو مصطلحه الرئيس، وحين يقع الاضطراب وتحل الأزمة في المفاهيم الأولية البانية للعلم فنحن أمام اضطراب في الرؤية الأولية أو إن شئت فقل أننا أمام اضطراب في **"فلسلة العلم"**. وذلك كله هو ما حصل في علم النفس المعاصر فعلم النفس اليوم يُعرف بأنه العلم الذي يدرس السلوك الظاهر للإنسان!![2] فالعالم الداخلي للإنسان الغيبي مستبعد تمامًا.

---

[1] – علم النفس الحديث من منظور إسلامي، مالك بدري، ضمن أعمال مؤتمر المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية 1412هـ (ص367).

[2] – كان يعرّف علم النفس حين النشأة الأولى بعلم دراسة ما وراء الطبيعة وموضوعه دراسة النفس أو الروح، لكن ما إن وصلنا إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حتى استقر موضوع هذا العلم على دراسة (السلوك الظاهر) ولم يعد أحد

ولهذا " فإن معظم علماء النفس غير راضين عما أنجزه علم النفس حول فهم الإنسان..(بل) يقولون إن الإنسان الحقيقي لم تتم دراسته حتى الآن"[1]

ولهذا قال (أندري مالرو: إن الحضارة الغربية هي الحضارة الوحيدة في تاريخ الإنسان التي تجيب عن سؤال ما لإنسان؟ بـ(لا أدري)!![2]

ولهذا لاحظ النفسانيون التعارض الصارخ الذي يخرج به الباحثون في العلوم النفسية في كل مرة يدرسون مصطلحًا واحدًا بعينه من المصطلحات النفسية، ومن هنا بدأت الدعوة إلى لزوم تحرير "**المفهوم الكامن وراء المصطلح ومحاولة تعريفه تعريفًا دقيقًا**".. فتم ابتكار مجموعة من الحلول من أبرزها: **(التعريف الإجرائي للمصطلحات النفسية)** وهو التعريف عن طريق اختزال جميع القضايا وردها إلى مفردات بسيطة!

لكن المفاجأة أن مبتكر الحل تراجع عنه سنة 1954 في الوقت الذي لايزال كثير من النفسانيين في العالم الإسلامي لايزالون يستخدمون الطريقة ذاتها في دراساتهم النفسية وصنيعهم هذا هو ما جعل (مصطفى سويف) يسخر منهم لأن مخترع الإجرائية تبرأ منها وسمى صنيعهم ذلك **(اتباع على حساب الإبداع)**.

وفي الحقيقة لم تهدأ المحاولات للخروج بالمصطلحات النفسية من المأزق.. الأمر الذي جعل سويف -نفسه- يقترح منهجية الوضعية المنطقية كحل وأنها البداية المقنعة في الحل لمشكلة تعريف المفاهيم في علم النفس[3]

لكن الإشكالية الأم أن كل المحاولات التفصيلية ستتم محاكمتها على الإشكال الأصلي الذي هو (ما هو علم النفس أصلا؟) لأننا سننتهي في كل مرة إلى أن الذي يدرسه علم النفس بهذا المصطلح أو ذاك – أصلاً- ليس هو النفس بل هو مظاهر النشاط النفسي ليس إلا!!

من الباحثين الغربيين يقصد بهذا دراسة النفس أو الروح. انظر: مشكلات ترجمة المصطلحات في علم النفس لعبد الناصر السباعي، ضمن أعمال ندوة قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية 2000م (43/2).

[1] – دور الفلسفة المعاصرة في العلاجات النفسية، لمحمد عباس يوسف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2006 (ص5).

[2] – مفهوم الإنسان في القرآن قراءة في كتاب مبدأ الإنسان للطيب بوعزة، مجلة دعوة الحق العدد.ص118

[3] – المصدر السابق

يقول محمد عباس: إننا في عملنا لا ندرس النفس كما يوحي الاسم لأول وهلة، ولكننا ندرس مظاهر النشاط النفسي، أو ما يسمى بالوظائف النفسية[1]

والسؤال هنا.. لماذا تعثر تحرير مفهوم مصطلح النفس، أو علم النفس؟

يظهر للباحث أن السبب الرئيس في حصول الإشكالية هو: أن البحث في علم النفس وقف عاجزًا أمام حقيقة هذا المخلوق العجيب "**نفس**" فلما أعيتهم الحيلة عن كشف كنه النفس والقبض على أحوالها وضبطها، في وسط قوم لا يؤمنون بما لا يمكن قياسه وينكرون مالم يتشيأ أمام أعينهم؛ فكان لابد من الهروب من الغيبي المجهول إلى المشاهد المحسوس، فتحول البحث من النفس إلى السلوك!

يقول كارل جانسبرز: في مؤلفه "علم النفس المرضي" معلنًا عجزه: (تظهر الحقائق النفسية كأنها جديدة وبشكل يستعصي على الفهم، إنها تأتي واحدة تلو الأخرى، وليست واحدة متولدة من الأخرى.. فمراحل النمو النفسي للحياة السوية، شأنها في ذلك شأن غير السوية، تعطي هذا التتابع الذي يستعصي على الفهم. ومن ثم، فإن قطاعا طويلاً في الحياة النفسية لا يمكن فهمه حتى على وجه التقريب. إن الحقائق النفسية لا يمكن دراستها من الخارج، كما أن الحقائق الطبيعية لا يمكن دراستها من الداخل)[2].

وهذا ما حمل باحثاً وطبيباً عريقاً مثل الطبيب الفرنسي(ألكسس كاريل) أن يعترف بهذه الحقيقة حيث يقول: وفي الحقيقة لقد بذل الجنس البشري مجهوداً جباراً لكي يعرف "**نفسه**" ... لكن بالرغم من ذلك فإننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا، إننا لا نفهم الإنسان ككل... وواقع الأمر أن جهلنا مطبق.. فأغلب الأسئلة... عن الجنس البشري تظل بلا جواب)[3].

ويقول كاريل أيضًا: إن علم التشريح... وعلم النفس... وعلم الاجتماع لا تعطينا نتائج قطعية في ميادينها. إن الإنسان الذي يعرفه علماؤنا ليس إلا إنسانًا بعيدًا جدًا عن الإنسان الحقيقي) [4].

---

1 – المصدر السابق

2 – انظر: الإسلام بين الشرق والغرب، لعلي عزت بيغوفيتش، بفاريا ألمانيا ص(69).

3 – الإنسان ذلك المجهول –الكسس كاريل –مكتبة المعارف – بيروت تعريب أسعد فريد ص(17).

4 – الدين في مواجهة العلم، لوحيد الدين خان، دار النفائس، ص48

يكررها كاريل ليزيد الأمر وضوحًا أكثر فيقول: (إننا لم نفهم الإنسان في حقيقته الكلية حتى الآن، ومعرفتنا – في حقيقتها – لا تتعدى التعرف على مختلف الأجزاء التي يتركب منها جسمه... والحق أنّ جهلنا بأنفسنا عميق جدًا.. إنّ الذين يدرسون الذات الإنسانية يوجهون إلى أنفسهم أسئلة كثيرةً جدًا لا إجابة عليها. إنّ مناطق واسعة من عالمنا الداخلي مجهولة!! [1].

وهذا الروسي الشهير إيفان بافلوف يعلن عجزه هو الآخر عن فهم "النفس" حيث يقول: على مدى آلاف السنين والبشر مشغولون بالبحث في الأحداث النفسية وظواهر الحياة الروحية، والروح الإنسانية. ليس فقط من جانب علماء النفس أو المختصين المعنيين بهذه القضية، ولكن أيضًا من جانب جميع الفنون والآداب.. وامتلأت آلاف الصفحات بأوصاف للعالم الداخلي للإنسان، **ولكن حتى الآن لم يتكلل هذا المجهود بالنجاح)** [2].

بعد كل هذا العجز حول مفهوم "**النفس**"، كيف يمكن فهم باقي المصطلحات والمفاهيم؟ وكيف يمكننا فهم فلسفة العلم نفسه؟ وكيف يمكننا البناء على ما نؤمن ببقاء الإشكال المصطلحي المنهجي فيه؟

وإن كان هذا مثال على إشكال مصطلحي في أصل العلم ولقبه الرئيس فإن هذا الاضطراب يفتح بابًا للتحيزات المختلفة للذهاب بالعلم إلى حيث يراد وتوظيفه في أغراض وفي سياقات أخرى إليك نماذج لمفردات ومصطلحات تم توظيفها بجدارة فائقة بتحيزات واضحة!

المحور الخامس: أنموذج تطبيقي من التحيز بالمصطلح النفسي

في ظل غياب تحرير صارم للمصطلح النفسي تم توظيفه في تداعيات يرصدها لنا الدكتور عبد الوهاب المسيري فيقول عن غياب **الانحراف كمفهوم ومصطلح**: إن غياب الانحراف كمفهوم جعل "كل شيء مقبول تقريبا، وبهذا أسقط علم النفس من معجمه النظر لبعض الانحرافات على أنها انحراف فتقبلها بقبول حسن.

واعتبر النشاط الإنساني أيا كان نشاطًا محايدًا، وأصبح من المستحيل **الحديث عن إنسان سويّ وآخر شاذ"** ولا عن فعل سوي وفعل شاذ، وخذ مثالاً على ذلك:

---

[1] – المصدر السابق ص58

[2] – الإسلام بين الشرق والغرب، لعلي عزت بيغوفيتش، ص71

"**كلمة طفل غير شرعي**" كلمة غير مقبولة؛ لأنها تعتبر قبولاً لمعايير مفارقة للظاهرة الحسية المادية وللصيرورة؛ فتم تغيير هذا المصطلح وتبديله بمصطلح "**أبناء الأمهات غير المتزوجات**"، لكن هذا المصطلح أيضا يحمل تفريقًا بين الذكور والإناث، فأعيدت تسميتهم، وأصبحوا "**أبناء آباء غير متزوجين**".

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل زاد تطورًا ليزداد قبول الحالة؛ وأصبح يشار لهم في بعض اللغات الأوروبية بأنهم "**أبناء الطبيعة**" أو بالفرنسية فيس ناتوريل. وفي نهاية المطاف أصبح يشار إليهم بأنهم (**أبناء الحب**).. ومؤخرًا تمت ترجمته للعربية عند النفسانيين العرب باسم "**يتعاطى الحب**" وبهذا تم نقل الخلط الغربي إلينا بكل أمانة وموضوعية –كما يقول المسيري-[1].

– وهنا مثال آخر حيث يقول مالك بدري حول التلاعب والتحيز بالمصطلحات وتوظيفها في أغراض معينة.. فيقول: عندما كنّا طلاباً في الخمسينيّات من القرن الماضي كنّا ندرس في علم نفس الشواذ ممارسة اللواط تحت مصطلح **السلوك الجنسي المنحرف** Sodomy or abnormal sexual behavior ثم تغيّر المصطلح **للمثلية في السلوك الجنسي** "homosexuality". وبعد أن نجح تغيير الاصطلاح في تحييد اللواط من الناحيتين الدينية والأخلاقية؛ تبدل الاصطلاح إلى gay أي "**فرح**"، بعدها ظهر اصطلاح "homophobia" أي **اضطراب الخوف المرضي من ممارسي اللواط**. وبهذا انقلب الأمر، وأصبح من يرفض اللواط ويكرهه هو الذي يحتاج للعلاج النفسي، وليس الممارس لهذا الفعل المنحرف[2].

المحور السادس: آفاق مقترحة في تمتين الصلة بين المصطلح القرآني وعلم النفس.

قبل عرض الآفاق المقترحة يحسن أن نقف عند كلمة مهمة لأبي الحسن الندوي، وهي: إن (قادة التربية والتعليم في الغرب لا يرون استيراد أي منهج تعليمي من بلد إلى بلد، ولوكانا يلتقيان على العقيدة والفكرة الأساسية في الاجتماع، والنظرة الواحدة إلى الإنسان والحياة والكون، فلا

---

1 – اللغة والمجاز، لعبد الوهاب المسيري، الشروق2010ص154

2 – من مقدمة مالك بدري لكتاب تصنيف المراحل العمرية لعبد الله الطارقي، نشر مركز قراءات1437هـ (ص4)

تفكر انجلترا في استعارة المناهج التعليمية والنظريات التربوية من فرنسا، ولا فرنسا من انجلترا. وكذلك رفضت البلاد السوفيتية الأخذ بمبدأ التعليم والتربية كمبدأ عام، ولم تسمح باستيراد منهج من مناهج التعليم خارج المعسكر الشيوعي، ولا بإدخال العلوم والآداب التي نشأت في حضانة المربين البورجوازيين والأرستقراطيين، كما تقول اللغة السوفييتية. ولذلك يقول عالم طبيعي من كبار علماء السوفييت: إن العلم الروسي ليس قسمًا من أقسام العلم العالمي. إنه قسم منفصل قائم بذاته يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف. فإن سمة العلم السوفيتي الأساسية أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة، إن التحقيقات العلمية لا تزال في حاجة إلى أساس، وإن أساس علومنا الطبيعية الفلسفة المادية التي قدمها "ماركس، وإنجلس، ولينين، وستالين" إننا نريد أن نخوض - وفي أيدينا هذه الفلسفة - في معترك العلم الطبيعي العالمي ونصارع جميع التصورات الأجنبية التي تناهض فلسفتنا المادية والماركسية بكل حزم وقوة)[1].

وهنا نقول:

ينبغي أن لا نتردد في العمل على بعض الآفاق خدمة للوحي وللأمة المسلمة في هذا المجال، ومن الآفاق المقترحة في ذلك ما يلي:

1- لابد من البدء في صناعة الرجال القادرين على النهوض بالمهمة فمرحلة "إعداد النبي عليه السلام" تسبق مرحلة أن يوحى إليه بوحي من الله تعالى. وهنا قبل أن نعمل على تطوير ومنظومة من المشاريع العلمية لابد من تطوير مشروع تأهيلي للكفاءات التي لن يؤهلها لنا غيرنا فهو واجب الأمة الآن أولاً.

2- العمل على تحرير مفهوم علم النفس ومصطلح العلم الرئيس وفق المصطلح القرآني حتى تستقر المفاهيم الأولية لفلسفة العلم بالنفس الإنسانية من منظورنا.

3- العمل على إخراج معجم مفهومي خاص بالمصطلحات النفسية في القرآن الكريم واستخراج النسق الناظم الذي ينتظمها جميعًا.

---

[1] – التربية الإسلامية عند أبي الحسن النّدْوي، لمحب الدين أبو صالح، دار ابن كثير،(1423هـ) دمشق سوريا (ص103).

4- إعادة بناء مباحث علم النفس وفق المصطلح القرآني المعرف بطريقة تجعل مباحث العلم مباحث قرآنية لا مباحثه المعهودة اليوم والتي ينشغل البعض بالمحافظة عليها ودعمها بنصوص من هنا وهناك.

5- العمل على دفع المختصين في العلوم النفسية للاجتهاد في تطوير أدوات علم النفس التي تحقق مقاصد المصطلح القرآني وغاياته فتجمع بين مفاهيم الوحي وواقعية الأدوات.

6- تطوير منهجية علمية بمثابة "الجمارك الحضارية" –بحسب تعبير أستاذنا البوشيخي- التي تعين الباحثين على إحسان التعامل مع الإنتاج الغربي في العلوم النفسية ليتم السماح للمنجزات النافعة بالولوج ومنع الضار ونقده وبيان فساده وضرره على البشرية.

7- تقريب تلك الحلول المنهجية للباحثين في العالم الإسلامي عبر الشبكات الالكترونية، لنتعاون جميعًا في استصلاح الفن والعمل على إخراج -ابن آدام، عوض ابن القرد- وإخراج -الإنسان الكوثر عوض الإنسان الأبتر-[1].

المحور السابع: أمثلة لثراء المصطلح القرآني بالألفاظ والمصطلحات النفسية:

أولاً: أمثلة للألفاظ والمصطلحات المركزية:

م	المصطلح القرآني	حجم الورود
1	النفس	298
2	الروح	21
3	التزكية	21
4	القلب	56
5	العقل	49

ثانيًا: أمثلة للألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالعلل والاضطرابات ومنها

م	المصطلح القرآني	حجم الورود
1	وسوس	4

[1] – الأول تعبير الأستاذ الشاهد البوشيخي، والثاني تعبير الأستاذ طه عبد الرحمن. وفقهم الله.

2	حزن	42
3	مرض	27
4	شح	9
5	الخوف	31

ثالثًا: أمثلة للألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالدوافع والغرائز

م	المصطلح القرآني	حجم الورود
1	شهوة	7
2	حب	10

رابعًا: أمثلة للألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالأخلاق والسمات

م	المصطلح القرآني	حجم الورود
1	أخلاق	2
2	الحسد	4
3	الكبر	100
4	الصبر	92
5	الحياء	3

خامسًا: أمثلة للألفاظ والمصطلحات المتعلقة بالمشاعر والانفعالات

م	المصطلح القرآني	حجم الورود
1	الرضى	37
2	الحسرة	12
4	الفرح	22

وختامًا:

إن كان للورقة أن تشير إلى توصية في ختامها فهي: أن نعمل على العناية بالآفاق المقترحة في هذه الورقة وتطويرها على يد تجمع ورابطة علمية نفسية خاصة تجمع جهود المؤسسات في

المجال خصوصا تلك المؤسسات التي انتبهت لهذا الأمر مبكرا مثل : المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، والرابطة العالمية لعلماء النفس المسلمين بالسودان، ولجنة علم النفس العربي الإسلامي بتونس، ولجنة التأصيل الإسلامي لعلم النفس بالسعودية، ومؤسسة البحوث والدراسات العلمية مبدع بفاس التي تنادي اليوم إلى ضرورة الانطلاق من المصطلح القرآني لإصلاح هذا الفن.

والله أعلم.

قائمة المراجع والمصادر:

1. الإسلام بين الشرق والغرب علي عزت بيقوفيش، مؤسسة بافاريا، ألمانيا 1997م.
2. الإسلام وعلم النفس لنزار العاني، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1429هـ
3. الإنسان ذلك المجهول –الكسس كاريل –مكتبة المعارف – بيروت تعريب أسعد فريد
4. التربية الإسلامية عند أبي الحسن النّدْوي، محب الدين أبو صالح، دار ابن كثير، دمشق سوريا 1423هـ
5. دور الفلسفة المعاصرة في العلاجات النفسية، لمحمد عباس يوسف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2006
6. الدين في مواجهة العلم، لوحيد الدين خان، دار النفائس
7. الدين والصحة النفسية، لآزاد علي إسماعيل، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي1435هـ
8. صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية، لإسماعيل الفاروقي، من مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي1409هـ
9. علم النفس الحديث من منظور إسلامي، مالك بدري، ضمن أعمال مؤتمر المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية 1412هـ
10. علم النفس في التراث الإسلامي، إشراف محمد عثمان نجاتي، وعبد الحليم محمود، مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي2008.
11. اللغة والمجاز، لعبد الوهاب المسيري، الشروق القاهرة مصر2010

12. مشكلات ترجمة المصطلحات في علم النفس لعبد الناصر السباعي، ضمن أعمال ندوة قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية 2000م
13. مفهوم الإنسان في القرآن قراءة في كتاب مبدأ الإنسان الطيب بوعزة مجلة دعوة الحق
14. مقدمة مالك بدري لكتاب تصنيف المراحل العمرية لعبد الله الطارقي، نشر مركز قراءات1437هـ